الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة -

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

رمضان حمود دراسة موضوعية وفنية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
*- فاطمة شلي
*- نورة دايري

إشراف الأستاذ(ة):
*- سليم بوعجاجة

السنة الجامعية: **2015/2014**

دعاء

اللهم لا تدعني أصَاب بِالغرور إذا نَجَحْت وَلا باليأس إذا فْشلت

وذكّرني دائِـماً أن الفَشَل هَو التجَارب التي تسْـبِق النّجَاح

اللهم عَلّمنْي أنْ التسَامح هَو أكْبَر مَراتب القوّة

وَأنّ حبّ الانتقام هَو أولْ مَظاهِر الضعْفَ

يا رَبْ إذا جَرَّدتني مِن الصحة فاتركْ لي نعمة الإيمان وإذا جردتني من نعمة الإيمان فاترك لي الأمل

يا رَبْ إذا أسَأت إلى الناس فَاعْطِني شجَاعَة الاعتذار

وإذا أسَاء لي النَّاس فاعْطِنْي مقدرة الصبر

اللهم اختم بالسعادة أحلامنا، وحقق بالزيادة أمانينا

اللهم تقبل دعاءنا

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

نتقدم بالشكر العظيم للأستاذ "سليم بوعجاجة" الكريم الذي لم يبخل علينا بتوجيهه وإرشاده للمضي قدما وإكمال هذا المجهود بعون الله أولا وبفضل نصائحه التي أثمرت عملنا ثانيا.

كما نتقدم بالشكر العظيم إلى كل من إلينا يد المساعدة وأسهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد استشارة أو مراجعة وإخراجا.

نورة وفاطمة

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله عونا على حمده الفرض، وصونا من الرفض، ما يثمر مضاعف القرض، ومحمدا أصلي عليه وعلى آله وصحبه الذين أشبهوا نجوم السماء في الأرض، صلاة تدخلني في زمرة الجنة إذا أخرج بعث النار يوم العرض وبعد:

أهدي ثمرة جهدي وكدا عمري إلى نور عيني أبي، وحبيبة قلبي أمي:

يا من تملكتما مفتاح الهوى *** يا من أصبحتما دنيا قلبي

وعينيا وروحي ومُنايا *** يا من أصبحتما شمساً تشرق

وتبدد ظلمات دربي وتضيء *** سرح وحشتي وأنسي

يا من تشتاق لكما نفسي *** يا من يصفو لكما قلبي

يا من يعجز حبر القلم عن *** رسم فضلكما في نفسي

يا من أقمتما لي غرس ذكرى *** وأجريتما إلى أنها نجوى

وجعلتما لي أيام عيد في الورى *** وأقمتما لي فيهم سوق تقوى

أقدمت معتمدتا عليكما ممتلئة *** القلب منى رجائكما ودائعكما

إلى أخواتي وإخوتي وقرة عيني: إيمان، محمد، شروق، فارس، آية

إلى صديقاتي: فاطمة، شهرزاد، وداد

نورة

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِكَ الَذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبكَ الأَكْرَمُ، الَذِي عَلَمَ بِالْقَلَمِ، عَلَمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُواْ إِلاّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحسَانًا ﴾

والشكر لله عز وجل على ما أنا فيه، وعلى هذه المرتبة التي شائني أن أصلها فكل شيء بفضله ورعايته حمداً لك يا رب

إلى التي حملتني وهنا على وهن، وأرضعتني، وربتني، وأفرشت لي الأرض من حنانها، وبكت لبكائي، وفرحت لفرحي، وسهرت لسهري، وتمنت لي كل ما يتمناه القلب الحنون الرؤوف إلى فلذة كبدي أمي الحبيبة

إلى الذي عمل وتحمل مشاق الحياة لأجلي، وتكبد العناء لتصل صغيرته مرادها في الحياة فقابل ذلك المراد بكل حماس وفخر واعتزاز أبي الغالي

إلى أخواتي أمينة ووردة وأخلي إسماعيل

إلى الكتاكيت الصغار: لينا وإسراء

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع

إلى كل من يعرف فاطمة ويكن التقدير والاحترام

فاطمة

مقدمة

يعد " رمضان حمود" أحد رواد النهضة الأدبية الجزائرية التي يجمع معظم الدارسين على أن بدايتها الحقيقية كانت سنة 1925 والتي واكبت في الوقت نفسه ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر، ويعد هذا الأديب من أغزر الأدباء الجزائريين انتاجا حيث ساهم بشكل فعال في قلب موازين الفن الأدبي العريق حاملا ثقل عصره ببراعة ليحطم كل قديم ببناء أدبي فني جديد يجمع بين الشعر والنقد، مما أكسبه مكانة مرموقة في الأوساط الأدبية، وعليه فقد رأينا أنه يتوجب علينا أن نقف عند دراسة فنية و موضوعية لأراء هذا الأديب محاولين بذلك مناقشتها وتحليلها؟

فقد استطاع كما يرى محمد ناصر أن يكون في آرائه تلك محافظا على التراث بعقلية معاصرة سابقة لعصرها وهو من الأدباء والنقاد المغمورين في الوسط الأدبي الجزائري حيث لم يتناوله إلا قلة من الدارسين والباحثين أمثال محمد ناصر السالف الذكر الذي يسعى جاهدا لجمع إنتاجه وابرازه كنموذج لأدب ذلك العصر الذي لا غنى عنه لمن يريد دراسة تلك الفترة تاريخيا وأدبيا.

وقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع وفقا لما يلي:

1 . اراؤه القيمة والجريئة التي تفرض علينا دراستها والتعمق في محتواها .

2 . تهميش الطلبة الجزائريين لأدبنا الجزائري وجوانبه النقدية.

3 . كونه من الأسماء الأدبية المغمورة في الوسط الأدبي الجزائري فلم يتناوله بالبحث والدراسة إلا قلة قليلة من الدارسين.

وقد قسمنا الموضوع إلى ثلاثة فصول:

جعلنا الفصل الأول منه خاصا بسيرة الشاعر ونشأته حيث تناولنا في المبحث الأول الحديث عن حياته وثقافته، كما تناولنا في المبحث الثاني آثاره الشعرية والأدبية وخصصنا المبحث الثالث في دراسة العوامل المؤثرة في " رمضان حمود"

أما الفصل الثاني: فهو عبارة عن دراسة موضوعية لرمضان حمود وكان ذلك من خلال ثلاثة مباحث:

فقد خصصنا المبحث الأول منه للحديث عن النزوع الرومانسي لدى رمضان حمود، أما المبحث الثاني والثالث فقد خصصناهما لبعض الموضوعات التي شغلت شعر حمود، كوصف الواقع المرير للشعب الجزائري والوقوف أمام الظلم والعدوان.

وكان الفصل الثالث مخصصا لدراسة الخصائص الفنية في شعره من لغة وصورة وموسيقى شعرية.

وفي الأخير خلصنا إلى خاتمة تمثل حوصلة لما قمنا بدراسته.

وقد سلكنا في بحثنا هذا منهجا وصفيا تحليليا تناولنا فيه هذه الدراسة المتواضعة.

وتبقى الكلمة الأخيرة وهي الاعتراف بالفضل لأهله ممثلا في الأستاذ الكريم "سليم بوعجاجة" على ما قدمه من توجيهات في هذا الإطار.

الفصل الأول

رمضان حمود السيرة والنشأة

المبحث الأول: حياته وثقافته:

ولد الشاعر حمود سليمان في مدينة غرداية جنوب الجزائر في العاشر من رمضان سنة 1324هـ، الموافق لسنة 1906م، حمود هو اسمه الشخصي كما يقول هو شخصيا، فيكون رمضان لقبا عائليا على الرغم من اشتهاره لدى الناس تحت رمضان بن سليمان بن بلقاسم[1]، ترعرع في بيئة محافظة عرف أهلها بتمسكهم الشديد للدين، وبغيرتهم على الإسلام، وقد حددت هذه البيئة منذ سنين حياته الأولى خطواته، ووجهة تفكيره.

وكان لوالديه أكبر الأثر في تنشئة هذه النشأة الصالحة وذلك بما زرعوه في نفسه منذ الصغر من استقامة في الدين وتمسك بالأخلاق الكريمة وحب الوطن.[2]

وكان حمود وحيد أبويه وكانا لا يرجوان له إلا حياة العلم، لما أصاب تلك البلاد من الجهل والانحطاط، فهما يذللان كل الصعوبة، ويجتازان كل عقبة في سبيل تلك الغابة، وذلك الطلب الشريف، فتظافرت جهود الوالدين الكريمين بغية تنشئة هذا الوليد نشأة صالحة، قوامها العلم والأخلاق، فعن طريق والدته ذاق حلاوة حب الوطن بما كانت تغرسه فيه من شمائل ووطنية وهو صغير السن فنشب عوده على ذلك، وحب الجزائر يسري في عروقه، وكثيرا ما اكن حمود يغفو بين ذراعي أمه –وهو طفل صغير– على أبيات من الشعر تنشدها وهي تهدهده[3].

يا بني عش بين الأنام عزيزا *** لك روحي ومهجتي وفؤادي

بذراعي أحميك طفلا صغيرا *** سوف تحمي إذا كبرت بلادي

---

[1] عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن 20، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص:414.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1985، ص:4.

[3] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص:53.

لا شك أن هذه الأبيات أمام شاعرة استطاعت أن تفتح عيني ابنها على جمال الشعر وحلاوته، فلا عجب إذن أن يشب حمود وهو يحمل بين حنايا صدره حبا وعشقا للشعر ساعدته في ذلك نفس هائمة على جمال الطبيعة وحلاوتها.

عرف حمود بالذكاء منذ الصغر فزاد هذا من حرص والديه على توفير كل الوسائل المادية والمعنوية ليتفرع للدراسة ويتكون تكوينا تعليميا صحيحا على الرغم من الظروف القاسية التي كان يعانيها الجزائريون في التعليم في تلك الفترة[1].

أتم حمود السادسة من عمره، وبدأت معالم الفتى تتضح جالية تنم عن قدرة واستعداد كبيرين وتبشران بمستقبل مشرق، ولم يجد الوالد –وهو يرى هذه الكوامن تتفجر في نفسية ابنه– إلا أن يصطحبه معه ليغترف من ينابيع العلم والثقافة، فوليا وجهيهما شطر مدينة غليزان، لينصرف كلية إلى الدراسة، ولما ستوفره تجارة والده في هذه المدينة من أسباب الراحة والاستقرار[2].

أدخل حمود مدرسة لتعليم القرآن الكريم، كما بدأ يتعلم المبادئ الأولى للغة الفرنسية، وهكذا كتب عليه أن يتذوق مرارة الغربة، ولم يشتد ساعده بعد، ليتخرج من مدرسة الحياة مؤهلا في الاعتماد على نفسه وشق حياته بمفرده وهو في أمس الحاجة في هذا السن المبكر إلى حنان الأم وعطفها، لكن هذه الغربة لم تؤثر في عزيمة حمود، فسرعان ما تكيف مع هذا المحيط الجديد، حيث أظهر من النشاط والحيوية والاجتهاد، ما جعله محل إكبار في عيون والديه وأصدقائه، واستطاع بفضل ذكائه ومواهبه التي لا تعرف الكلل أن يطوي في سنتين اثنين ما يطويه زملائه من التلاميذ في أربع سنوات، فلا عجب إذن أن يصبح حمود محل

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص:54.

[2] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1344هـ، 1926م، ج1، ص:170.

جد وعطف ومثل أعلى في الاجتهاد والمثابرة، وبذلك قرت عينا والده وهو يرى ابنه يشق دروب الحياة كما كان يرسمها له.

ومع البدايات الأولى من مراحل تعليم حمود يكتشف ذلك الفرق والبون الشاسع بين ما عليه التعليم الذي يتمتع به الأهالي والآخر الذي يعيشه أبناء المستعمرين، وتتكشف المأساة بأبعد صورها، لا في هذا الميدان الهام فحسب بل لتشمل كل نواحي الحياة تحت وطأة استعمار بغيض يسعى بكل ما أوتي من قوة لطمس كل ما يمد بصلة لشخصية هذا الشعب من لغو ودين وثقافة[1]، وقد تعرض حمود لمحاولة اغتيال قام بها أحد أعوان الاستعمار، ونجا منها[2]. ولعل أبسط مثال واجهه حمود هو ذاك الانشطار الذي يجسده الطالب الجزائري في نفسيته وهو يتابع تعليمه، فشتان بين نظام يعتمد الحداثة والمناهج العصرية وتوفر له كل الوسائل والسبل لإنجاحه، وبين تعليم توضع في سبيله كل أشكال العراقيل والصعاب لتحد من انطلاقته، ويضرب عليه ستار يجعله يتقوقع ويدور في حلقة مفرغة لا ترجى منها فائدة، ونعني به التعليم الذي حمل لواءه الكتاتيب والزوايا، بما عرف عنه من عقم الأساليب وضعف المناهج.

"يساق فيه التلميذ بالعصا وتقحم المعلومات في عقله الصغير بالحفظ الببغاوي"[3]. ليتخرج الطالب في نهايته وهو يحمل أفكارا جامدة وثقافة لا يفقه منها شيئا، ولا يجد أمامه السبل لإكمال تعليمه، وكل ما يصل إليه إن أسعفه الحظ –لا يعدو أمامه وظيفة صغيرة، تدفن فيها مواهبه فيحكم عليها بالإعدام وهي في أوج اندفاعها وتقودها.

عاد حمود بعد سنين أربع قضاها في غليزان إلى مسقط رأسه غرداية ومرتفع طفولته بعد أن تيسرت الأحوال وسمح للأهالي بفتح مدرسة فيها فالتحق بها لاستكمال تعليمه ولإتمام

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص:55.

[2] عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن 20،

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:16.

ما بدأه في غليزان، من فقه وتربية وأدب، وكان كعادته شعلة وقادة من الذكاء والاجتهاد والاعتناء بدروسه التي وجد فيها متنفسا ومستقرا إلى حين.

قضى حمود في مسقط رأسه فترة يمني النفس بتحسن الأحوال، ولكن لم يستجد شيء يبشر بذلك، ولم يطرأ على سياسة التعليم أي تقدم، لذلك آثر والده أن لا يحط عصا الترحال حتى يرى علامات الرضى على وجه ابنه، وأنى له أن تتحقق أمنيته فالتعليم في الجزائر لم يعد يؤدي إلى العقم وقتل المواهب الشابة، فلم يجد الأب بُدًا من أن يرسل ابنه مرة أخرى إلى تونس التي كثيرا ما تحدث الركبان عن نهضتها وتطور العلوم فيها، وكان هذا منتهى ما يطمع إليه حمود، وتحقق أمله بانضمامه إلى أفراد بعثة التعليم[1] "التي انطلقت من وادي ميزاب في اتجاه جامع الزيتونة سنة 1917 بقيادة الشيخ ابراهيم أطفيش"[2] حيث ضم هذا الركب نخبة من الفتية والطلاب الذي سيكون لهم شأن في تغيير مسار الحياة الثقافية والعلمية بالجزائر بعد عودتهم الميمونة من تونس، حيث جعلوا لواء الإصلاح والتجديد، ونادوا بالمساواة وإفساح المجال أما أبناء الأهالي للأخذ بأسباب العلم ومن هؤلاء نذكر "إبراهيم بن الحاج عيسى المكنى بأبي اليقظان، والشيخ صالح بن يحي، ثم الشاعرين مفدي زكرياء وحمود بن سليمان رمضان، والكاتبين عبد العزيز الثميني ومحمود علي دبوز..."[3]

سار الركب بمن فيه من الطلبة ميممها شطر تونس الخضراء تغمره أحاسيس شتى، واضعا نصب عينيه استغلال أكبر قدر ممكن مما تسمح به الظروف من الفرص للتزود بأسباب العلم، وكان فتانا بينهم ولم يبلغ السادسة عشر من عمره تدفعه حمية الشباب وتحوطه رعاية مرافقه وتشجعه، زارعين فيه حب الاستقامة خلقا ودينا باثين في نفسه حب

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص، ص:56، 57.

[2] الكاملي عبد الله بن محمد، أبو إسحاق ابراهيم أطفيش، مطبعة الشهاب، قسنطينة– الجزائر، 1966، ص:32.

[3] الكاملي عبد الله بن محمد، أبو إسحاق ابراهيم أطفيش، ص:33.

التضحية في سبيل الوطن وحط الركب رحاله في تونس[1]، فمكث بها ثلاث سنوات يزاول التعليم على يد الشيوخ الإياضيين أمثال الثميني وأطفيش[2].

وقد اكتمل لديه افراغ الذي يتوق إليه من أجل المزيد من الثقافة والتنوير وعرف بمشاركته في الأندية الأدبية، وفي الندوات التي كان الطلبة الجزائريون في تونس يعقدونها حول القضايا الوطنية لبلدهم[3].

واتجه حمود إلى تعلم الخط العربي في مدرسة السلام وحفظ فيها الكثير من الشعر والنثر، ولم يهمل بقية العلوم الأخرى، فأخذ حظه من العلوم الحديثة كالطبيعة الجغرافيا والتاريخ والتشريع والهندسة، وانتقل بعدها إلى المدرسة الأهلية ليستكمل فيها ما فاته من العلوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة ثم المنطق، وكانت المدرسة الخلدوني المحطة الثالثة التي توقف عنها حمود، حيث درس على علمائها القسم القانوني من العلوم الطبيعية، وأخيرا تحقق لفتانا مناه ومبتغاه وهو يبلغ الجامع الأعظم جامع الزيتونة بكل ثقة واقتدار حيث يلتقي بالأساتذة الأعلام وهكذا اكتملت لحمود كل أسباب العلم، ولم يغفل وهو في هذا الجو الثقافي إلهام أن يتعلم لغة عدوه، حيث يقول درست ما تيسر من اللغتين العربية والفرنسوية، وقرأت في العربية خاصة كتبا في النحو والمنطق والأدب.

وما دام حمود قد أخذ نفسه بتحمل مشاق السفر والهجرة والبعد عن الأهل والديار، فقد كان أشد ما يكون حرصا على استغلال الوقت فلا تراه إلا مجتمعا في حلقة من حلقات الدروس، ولا تجده إلا جليسا لكتاب يقرأ أو يتزود حتى غدت أوقاته كلها ثقافة وعلما وتحصيلا ودراسة، وكانت نفس الفتى تواقة طموحة إلى أبعد الحدود، فسعى جهده بمساعدة بعض لداته إلى تأسيس جمعية ثقافية مهمتها التواصل الثقافي والربط بين الطلبة فتجمعهم

---

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:58.

[2] أحمد شرفي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2010، ص:286.

[3] يوسف ناوري، الشعر الحديث في المغرب العربي، ج2، دار توبقال للنشر، ط1، 2006، ص:117.

على موائد المناقشة والمحاورات، هكذا رأى بأم عينه أولى خطوات اجتهاده تبرز واضحة جليلة في الجمعية الأدبية الوطنية ثمارا لجهوده مع زملائه، وحرصا من أفراد هذه الجمعية على توفير كل أسباب النجاح أصدروا جريدة حائطية تحررها الأقلام الشابة تعبر عن آرائهم وأفكارهم وتطلعاتهم وأمالاهم وآمالهم التي تشدهم إلى الوطن وتبعث في أنفسهم الغيرة والحمية، ولم يكتفوا بهذا وإنما ألحقوا بالجمعية مكتبة للمطالعة تزودهم بكل ما هو حديث في عالم التأليف، مع استمرار هذا الجهد، بدأت ثماره اليانعة، حيث لم تلبث جريدتهم الحائطية أن ارتقت فأصبحت مجلة نصف شهرية وقد كان حمود أبرز أقلام هذه المجلة ومن أنشط أعضاء الجمعية الأدبية الوطنية الذين ساهموا في ترقيتها والسير بها سيرا حسنا.

سارت حياة الأديب الشاب على هذا النحو، فهو لا يدع فرصة تمر دون الاستزادة من العلم والثقافة والمعرفة وبذلك استطاع بما أوتيه من ذكاء حاد وطموح فوار، دفعاه أن ينكب على ثقافة عُصامية أساسها المطالعة باللغتين العربية والفرنسية في كتب التاريخ، والأدب، والسياسة[1].

وبذلك لم يشأ حمود أن يعود إلى أرض الوطن من تونس الخضراء إلا وقد امتلأت جعبته زادا من كل علم.

وكما كانت عادة الأهالي –وخاصة الأسس المحافظة– التي تسارع إلى تزويج أبنائها مبكرا، قفل حمود عائدا إلى وطنه بعد أن عرض عليه الزواج بنفس حزينة، وكان يأمل أن تكون حياته كلها بين صفحات الكتب ولكنه لا يستطيع أن يرفض ما تقدم به والده فانصاع للأمر مختارا وعاد إلى غرداية مسقط رأسه، ليقرن بعروسه بعد أن بدأت ملامح الرجولة تبدوا عليه.

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:59.

ولم يمنعه هذا الارتباط من مزاولة نشاطه، فقد وجد في الصحافة الوطنية منبرا يبث منه أفكاره وآراءه ويعبر فيه عن أحاسيسه، أحاسيس أمة غلبت على أمرها، وجثم استعمار بغيض على صدرها محرما عليها كل ما يَمُت للعلم والثقافة والحضارة بصلة.

عاش الفتى يعشق الحرية والانطلاق وحيل على رفض السيطرة، مع الاعتزاز والاعتداد بالنفس، فلا عزور إذ بات أكره خلق الله إليه من اتصف بنقيض تلك الصفات العالية كأن يكون جبانا أو ذليلا أو مقلدا ولذلك كثيرا ما أوثر عنه أنه كان دائم الترنم والتغني بقول الرصافي:

إذا ما سمائي جاد بالذل غيثها *** أبيتُ عليها أَن تكون سمائيا

كما أن شاعرنا كثير الاستشهاد بحكمة الزعيم المصري سعد زغلول رحمه الله في مقولته الشهيرة: "من الناس من يرى ضاربا يضرب وباكيا يبكي، فيقولون للباكي لا تبك قبل أن يقولوا للضارب لا تضرب" وهو أصدق تعبير عما يعانيه الشعب الجزائري تحت نير الاستعمار البغيض.

ومن الطبيعي أن يتعرض حمود للقهر والتعسف وهو يحمل مثل هذه الأفكار الثورية المناهضة للاستعمار، فكان جزاؤه أن زج به المستعمر في السجن[1] مع بعض المواطنين الأحرار وهو دون العشرين من العمر، وبذبك بدأ فصل جديد من تشديد الخناق على رمضان حمود حتى تموت أفكاره في مهدها وهو الابن البار للجزائر الذي سري حب الوطن في دمائه وتغلغل في كيانه فأصبح روحا واحدة، ولننصت إليه وهو يعبر عن هذا الشعر وبكل حرارة وصدق إذ يقول: "أجد وطني حبا جما، ولو تراكمت الحظوب على فوق أرضه، ومسني من العذاب أليمه، فهو ملكي، وأنا ملكه، أبكي عليه كلمى شكى، أحبه ويحبني، فهو عين وأنا نورها، وهو صوت وأنا صداه، أكره من يبغضه وأُجِل من يهواه، اسمه في قلبي مكتوب بنار

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص، ص:61، 62.

الحماسة من صغري لا يمحيه يد الدهر في كبري، عرفته فعشقته، وإن كنت لا أعرف العشق من قبل".

ولم تكن ثورة حمود ثورة تهور واندفاع أو حماس لا يفتأ مشتعلا برهة ثم يخبوا، ولكنها كانت عقل مفكر تربى التربية الدينية الإسلامية منذ الصغر فأمسى ملاك أمره جميعا تقواه وورعه ونزاهته وعفته، يتجلى ذلك في بغضه الشديد للمتخلفين بالأخلاق المنافية للإسلام، وملاحقته الصريحة للأن ثقافته وأخلاقه وصحبته للتيار الإسلامي في أخريات أيامه خاصة مع مجلتي الفتح والهداية الإسلامية كل ذلك عمل على توجيهه الوجهة السليمة، وتتجلى غيرته الشديدة على الإسلام وحبه له والتزامه به عقيدة وسلوكا في قوله: "لا نقدر أن نسير بدون دين، لأنه هو المحرك الوحيد للقيام بجميع الواجبات... إن للدين قوة معنوية تكهرب المرء، وتبعث فيه روح الأمل والإقدام على الدواهي، وعدم الخوف من أية قوة كانت... لا يشعر بحلاوة الدين وعذوبته إلا من أدى شعائره قياما بالواجب."[1]

وإذا تجاوزنا ذلك إلى ثقافة حمود لوجدناها لا تتعدى المرحلة الإعدادية ومع ذلك استطاع أن يكون نفسه بنفسه عن طريق المطالعة في مختلف المجالات، وكان –وهو في تونس– يملأ أوقات فراغه بالتمرين على الكتابة والخطابة والشعر، واستطاع أن ينمي فكره ويصقل ملكته الفنية، عن طريق قراءته لبعض دواوين فحول شعراء العرب أمثال أحمد شوقي، حافظ إبراهيم وجبران خليل جبران، ومعروف الرصافي وغيرهم، وفي هذا يقول "إن ولوعي بالمطالعة في كثير من الفنون كبير وبالأدب خاصة أكبر، حتى إني أهمل دروسي في بعض الأوقات ابتغاء مرضاته إن نادى مناديه أخلو بنفسي مع كتابي فأشعر براحة عظيمة لا يفوقها إلا حضور صديق أديب أراه بجانبي يشاركني في تصوراتي وأحلامي.

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:63.

وما كاد ينهي دراسته بتونس ويقفل راجعا إلى أرض الوطن حتى اكتمل ميلاد شاعريته، فغدت تغرد بالشعر ألحانا جيدة وموسيقى نديه، تبشر بظهور شاعر جديد لديه الموهبة الفطرية والاستعداد الأصيل.[1]

ولا نستطيع أنم نغفل رافدا كبيرا من روافد ثقافة حمود المتمثل في ذكاءه الحاد وطموحه الفوار اللذان دفعاه أن ينكب على مطالعة كتب التاريخ والأدب باللغتين العربية والفرنسية، فهو لم يقرأ طوال فترة دراسته العروض ولا القافية على معلم، وكل ما يتمتع به من ثقافة في هذا المجال إنما جاء عن طريق مطالعاته الشخصية[2]، إذ يقول في هذا الغرض "وأما الشعر فأستاذي فيه صغيري، ومدرستي الكون وعجائبه، إذ لم أقرأ عروضا ولا قافية على معلم إلا ما أقتطفه بنفسي، بدأت أول مرة بوضع البيت أو البيتين تكلفا إلا أن صار الشعر لي سجية وأول قصيدة لي هذا مطلعا:

ألا إن هذا الدهر مجزرة الحر *** تهادى بنا يعلو ويخفق بالغدر

وكنت إذا وضعت قصيدة أعرضها على نفسي فإخواني، فأستاذي، وكثيرا ما كان يجازيني عليها –رعاه الله– تمكن حب الشعر من نفسي حتى إني لا أملك نفسي إذا سمعت قصيدة بليغة، ولقد أشعر بأسلاك كهربائية تتجاذب بين قلبي، ووجداني أراني معها مدركا لذة لا أقدر أن أصورها بعد.[3]

ونستطيع القول أن الحياة الفكرية والثقافية التي كانت تزخر بها تونس آنذاك، هي التي صهرت حمودا أدبيا وفتحت أفقه على ألوان من المعرفة على الرغم من إقامته التي لم تطل أكثر من سنتين نصف السنة.

---

[1] المرجع نفسه، ص:64.

[2] المرجع نفسه، ص:65.

[3] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص:170.

ونشير هنا أيضا إلى أن وجود حمود في تونس مكنه من الاطلاع على الأدب الرومانتيكي الذي أعجب به أيما إعجاب، فافتتن بأدب "لامرتين– Lamartine" و "فيكتور هوجو–Victor Hugo" من الفرنسيين، وجبران خليل جبران من العرب، ولعل في موقفه النقدي من الأدب ومفهومه للشعر ما يؤكد هذه الصلة.

إن إعجاب حمود بالأدب الرومانتيكي وافتتانه بجمل الطبيعة الخلابة التي نشأ بين أحضانها[1] جعله يعتقد أن: كل ما خلق الله من الأصوات كخرير المياه، وتغريد الحمام، وأنواع الرياح، وزقزقة العصافير وهمهمة الخيل، وبكاء الأطفال كلها قصائد شعرية على وزن طبيعي أبرزه الله جل وعلا أحب الجمال وأهله، والشعر وأصحابه. وأكثر قصائدي في الحماسة والاجتماع، وأكره التكلف في الشعر ومن شعري أذم التكلف:

ولم أضع الأشعار يوما تكلف *** كما شان جل الناس ساء جليبها

ولكن ذكت نفسي فطارت شرارة *** إلى همتي القعساء فهاج لهيبها

بلادي سلاها عن بيان حقيقتي *** تخبركم فورا بأني أديبها[2]

وسارت حياة الشاعر القصيرة –والتي لا تتجاوز ثلاثة وعشرين ربيعا– حافلة بمثل هذا الجهاد الأدبي، ولم يمهله القدر ليرى بأم عينه، ما زرعته أفكاره وآراءه من حماس ووعي في نفوس الجماهير، إذ أصيب بمرض لعين هو مرض السل الذي بدأ ينهش رئتيه وهو طالب بتونس، وكان في حاجة إلى الراحة بناء على نصيحة الأطباء، وكن شخصا كحمود يحمل نفسا طموحة لا ينعم بالراحة وأمته تعاني الويل والثبور وهكذا صعدت روح حمود إلى بارئها بمسقط رأسه غرداية سنة 1929م وهو في ثورة الشباب، فافتقده الوطن والأحباء والأهل والخلان، وانطفئ بذلك نبراسٌ كان ينير الطريق وسط ظلمات الجهل والخرافات

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:66.

[2] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص:171.

والبدع، فلا عجب أن يرثيه رفاقه، ولم تخطئ مجلة الشهاب الأسبوعي عندما نعت حمودا بفقرة جريحة تحت عنوان "الشاعر الفقيد"[1].

وتلك هي نهاية العظماء من الشباب الذين يفارقون الحياة وهي في أشد الحاجة إليهم، وفي سجلات التاريخ أسماء كثيرة افتقدت وهي في ذروة العطاء من علماء وأدباء ومفكرين أمثال "أبي القاسم الشابي والتيجاني يوسف بشير، والهمشري من الشعراء العرب"[2].

المبحث الثاني: آثاره الشعرية والأدبية:

ترك رمضان حمود مجموعة من الآثار الشعرية والأدبية، فقد وصل إلينا شعره عن طريق جريدتي "الشهاب" و "وادي ميزاب"[3]، حيث ترك ما يقرب من ثلاثين قصيدة وسلسلة مقالات عن "حقيقة الشعر وفوائده" و "الترجمة وأثرها في الأدب".

كما نشر جملة من القصائد في جريدة الشهاب الصادرة في 14 أفريل 1927 عدد 92 والقصيدة عنوانها "عاطفة وشعور لا مدح واطراء" تتكون من 51 بيت مطلعها:

العلم أشرق نوره وتألقى *** فوق "الجزائر" والظلام تفرقا

وقصيدة حوارية تحمل عنوان "أقسام الناس" الشهاب عدد 53، في 6 سبتمبر 1926م، وقصيدة "دمعة حارة في سبيل الأمة والشرف" الشهاب عدد 51 في 11 أكتوبر 1926. وقصيدة "إلى شبابنا المتنور" ونشر قصيدة "صدى الجديد والقديم" الشهاب العدد 101 في 16 جوان 1927 وتتكون القصيدة من 36 بيت ومطلعها:

فمن شاء أن يحيا على الناس مشرفا *** ومنعزلا عنهم بحب التصوفا

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:67.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:18.

[3] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:67.

ونشر في جريدة البرق عدد 23 الصادرة في 15 أوت 1927 قصيدة "الدهر كفيل بتنبيه النيام" تتكون من 18 بيت ومطلعها:

إذا كنت في أمة أعرضت *** عن العلم نابك منها الجفاء[1]

أبنه الشيخ عبد الحميد بن باديس بكلمة معبرة في الشهاب تحت عنوان: "فقيد الأدب والنهضة السيد رمضان حمود رحمه الله" جاء فيها: "كان هذا الشاب الأديب الناهض ركنا ركينا من أركان النهضة الأدبية بالجزائر، ولو أمهلته الأيام لكان نابغتها في الأدب بمعناه الصحيح، كان الفقيد مشغوفا بجمال الكون يرى كل ما فيه موزونا منسقا، كوزن قصائد الشعر واتساقها، فكان نظره هذا إلى الكون هو مصدر شاعريته ومهبط وحيها، وكان هذا شغوفا ببليغ الشعر العصري، يحفظ كل ما يعجبه منه فكانت أساليب الشعراء العصريين بالشرق ملكه بيانه، فجاء شعره كونيا اجتماعيا سهلا في أسلوب جميل رصين، وجاء أكثر كتاباته كالشعر المنثور"[2].

ومن أجمل قصائد رمضان حمود بل من أجمل أعوام الشعر العشرين كلها ما كتبه عن الحرية في قوله:

لا تلمني في حبها وهواها.

قد تكون هذه القصيدة من أجمل الشعر الجوائري في الأعوام العشرين وقد يكون "محمد العيد" تأثر بها بعد عشر سنوات من ظهورها (قصيدة رمضان حمود ظهرت في 1928، وقصيدة محمد العيد في 1938) فكتب رائعته "أين ليالي أينها" وإذا كان العيد قد اصطنع رمز ليلى فجعلها شخصية عاقلة، جميلة وعظيمة معا، يتعامل معها، فإن رمضان

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في الحاضر، ‘داد وتقديم عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2007، ج1، ص:286.

[2] المرجع نفسه، ص:281.

حمود جعل هو أيضا الحرية كائنا عاقلا يتعامل معه، ... ولما فارقه هذا الكائن الذي كان يتعشقه أرسل إليه رسولا من طير فحمله رسالة عظيمة إلى هذا الحبيب الغالي...[1]

ويبدو لنا من خلال الأشعار التي أرسل بها محمد الهادي السنوسي لينشرها في كتابه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" أن رمضان حمود كان يقول الشعر ضمن جماعة الشعراء العشرينيين الذين لم يكن يهمهم إلا أن يشكو القدر وأن يبكوا الشعر ويبكوا له معا.[2]

يتميز شعره بالدعوة إلى العروبة والإسلام ومن أهم الدراسات التي صدرت له دراسة الدكتور "محمد ناصر" بعنوان "رمضان حمود ، الشاعر الثائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1978"[3].

أما نثره فقد جمعه في كتاب تحت عنوان "بذور الحياة" ألفه وطبعه في تونس 1928، والكتاب يشتمل على خواطر وأفكار، كتبها الأديب وهو يعيش تجربة الحياة الواقعية بكل ما تمثله من تيارات وطنية واجتماعية وأدبية، ولمحمود مؤلف آخر بعنوان "الفتى" الذي يمثل السيرة الذاتية لحياته من جزئين، ظهر الجزء الأول سنة 1929 بتونس ولم يمهله القدر لاستكمال الجزء الثاني[4]

وتعد قصة الفتى هي القصة الوحيدة التي كتبها رمضان حمود وفيها كتب عن حياته التي عاشها منذ طفولته الأولى إلى وقت إنجاز هذا المؤلف لوم يقتصر هذا العمل على التعريف بنشأته وأسرته وثقافته وتنقلاته وإنما تجاوز ذلك إلى رسم صورة دقيقة واضحة

---

[1] عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن 20، ص:419.

[2] المرجع نفسه، ص:416.

[3] محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 2005م-1426هـ، ص:17.

[4] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:67.

للأسرة الريفية والمجتمع القروي الصحراوي فضلا عن حديثه عن الفلاحة والصناعة والتجارة والعلوم وقضايا الإسلام[1].

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في رمضان حمود:

أ. العوامل السياسية:

تعتبر العقود الثلاثة الأولى هذا القرن العشرين في تاريخ الجزائر أحفل الفترات مواقف وأحداثا، وأزكانا نشاطا وحيوية وأشدها جرأة في الميادين السياسية والفكرية، فهي المنبع الأساسي للروافد السياسية والفكرية، إذ عرفت هذه الفكرة ميلاد الصحافة العربية الجزائرية من جهة وظهور الحركات الإصلاحية العلمية من جهة أخرى، هذه الحركات التي برزت من خلالها شخصيات جزائرية بارزة تركت صدى عميقا في تاريخ الجزائر الحافل والبطولات والتضحيات.

ولعل أو ما يميز هذه الفترة من الناحية السياسية حكم "شارل جونار" الذي عين حاكما على الجزائر سنة 1900 وتميزت فترة حكمه بالسياسة المرنة، واتسم عهده بطابع التوحد، ومع ذلك فقد عاش الجزائريون في هذه الفترة أوضاعا مزرية، فقد حرموا من حرية الكتابة، وحرية الاجتماع، بل من حرية السفر والانتقال، وحرية مطالعة الكتب والجرائد وبقيت هذه القوانين سارية المفعول من سنة 1896 حتى سنة 1930 وكلما حاول الشعب الجزائري المطالبة بإلغائها وإيقافها، ازدادت السلطات الفرنسية تعنتا في تجربتها وترسيخها أكثر وخاصة قانون "الانديجينا" الذي ضيقت به الخناق على الأهالي وأخمدت أنفاسه وقد وصف الأستاذ أحمد توفيق المدني هذه القوانين بقوله: "جملة الأنظمة والقوانين الرهيبة الجائرة التي يطلق عليها اسم قوانين "إنديجينا" والتي ضيقت الخناق على هذه الأمة وأخمدت أنفاسها، وجعلتها تعيش في جو مظلم وحالة ضغط

[1] المرجع نفسه، ص:253.

يصعب تصورها، وقلما يستطيع العقل تصديقها"[1]، ولم تتوقف السياسة الفرنسية عند هذا الحد من فرض القوانين التعسفية على الأهالي في الجزائر، بل أصدرت قانونا آخر باسم الطوارئ، الذي يرمي إلى فرض التجنيد الإجباري لأبناء الجزائر.

ومن هنا أخذت حوادث النهضة تهتز وتتوالى، وقد جسم هذا الاتجاه الأمير خالد، وقد اعتبرت هذه الخطوة بداية حركة الكفاح السياسي كما يظهر في أواخر العقد الثاني من القرن بعض نشاطات الحركة الوطنية التي تطورت، مما أدى بالجمعيات والهيئات السياسية إلى الظهور وكما أفادت الاتجاهات السياسية من الجو السائد في الجزائر آنذاك، فإن الاتجاهات الفكرية والدينية هي الأخرى لم يفتها أن ترفع الشعارات السياسية لتحمي بها غاياتها التي كانت تهدف إليها، ومثال ذلك ما حدث في مجلة الشهاب، لسان الحركة الإصلاحية بزعامة الإمام عبد الحميد بن باديس، وقد تولدت هذه الحركة الإصلاحية أبعاد وأصداء في الأفكار والأقلام التي تتحرك في نطاقها، فكان الفص الأدبي المكتوب باللغة العربية وليد هذه الحركة، بما تنزع إليه من ثقافة عربية ووطنية.

وقد كانت الأوضاع الجزائرية المتدهورة آنذاك سببا مهما، وعاملا رئيسيا في بزوغ مجموعة من الكتاب والمبدعين، وقد كان رمضان حمود من بين الكتاب الشباب الذين ساهموا بنشر مقالاتهم وآرائهم وأشعارهم بين طيات هذه المجلة، وخاصة تلك المقالات التي كان لها علاقة بأوضاع الجزائر المتدهورة، كالتي تدعوا إلى المطالبة بالحقوق، والحرية والاستقلال، وفي هذا المضمار راح يتغنى بالحرية ويترقب بزوغ شمسها في الأفق البعيد إذ يقول: "ما أجملك أستها الحرية؟ وما أفظعك، جميلة لأنك نور الله الذي

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:11

ينير طريق الإنسان في هذا العالم المظلم، وفظيعة لأن الأسباب الموصلة إليك لا تخلوا من الدماء والأهوال التي تقشعر منها الجلود"[1]

ب. العوامل الاجتماعية:

لقد عاشت الجزائر "مأساة اجتماعية" وهي الاحتلال الفرنسي الذي زاد بشاعة فصب نار غضبه على الأهالي، فعذب، وقتل، وأخرج الأهالي من ديارهم وأراضيهم، وسد في وجوههم كل أسباب العيش.

وإذا كان المستعمر قد اطمأن على الحكم المدني، إلا أن هذا الأخير –الحكم المدني– لا يقل وحشية عن السلطة العسكرية السافرة، وذلك لما يحمله من قوانين استثنائية صارمة وأكثر هذه القوانين تجاوبا مع أهداف المستعمر هي التي ترمي إلى إغراق المواطن في بؤس دائم كفرض الضرائب على المواطنين ومصادرة أراضيهم وأملاكهم.

ولا غرابة أن ينتج عن هذه القوانين فقر وبؤس وشقاء وأمراض وأوبئة وانحرافات خلقية في المجتمع، فأغلقت المدارس وحولت المساجد إلى كنائس وأسرع المستعمر إلى فتح الحانات وتشجيع العربدة فارتمى الشباب في أحضان الانحراف الخلقي[2] "وبلغ من خبث المستعمر، ومكره وعبقريته في تشخيص المأساة أن جمع بين المصيرين على صعيد واحد، ولزم المتضادين في قرن فجمع العربدة بالشطحات الصوفية والانحراف بإقامة "الموالد" وزيارة الأضرحة فانتقلت الحانات والمواخير إلى المقابر والزوايا وعين المستعمر ساهرة، راعية مباركة حامية"[3]

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص، ص:19–21، 24.

[2] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص، ص:26، 27.

[3] صالح حرفي، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص:37.

وقد استنزف الاستعمار جهدا كبيرا طوال عشرات من السنين في محاولة القيام بمهمة القضاء على مقومات الشخصية العربية وكان على الجزائريين –لكي يلجأ إلى نوع التعبير الجاد عن أنفسهم– أن ينشأ والمقالات الصحفية، والقصائد الشعرية اتي كانت تعتبر المنفذ الأساسي للرد على المستعمر ومهاجمته، والقلة القليلة من الشعراء الشباب وجدوا أنفسهم أمام هذه المأساة التي طبع شعرهم بها، فأحسوا بالتمزق الذي آل إليه الشعب الجزائري، فصوروا هذا التمزق أحسن تصوير.

ويبرز رمضان حمود أدبيا في هذه المرحلة مدافعا عن الشخصية العربية الجزائرية التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقضي المستعمر عليها ما دام أبناؤها حريصين كل الحرص على التمسك بمقومات هذه الشخصية حيث يقول حمود "من الجنون بل من المحال محاولة إطفاء جذوة الوطنية الملتهبة في أمة دب في شراييينها روح التضامن والحياة النهزة وشعرت بما لها وما عليها، فالحياة معنى كامن في النفوس وما استعد قوته من الروع، فمن العبث القضاء عليه ما دام ذلك المحرك موجودا"[1].

ج. العوامل الثقافية:

لقد أدركت فرنسا أن الخطر لا يمكن أن يزول بإبادة الأجسام وحدها دون محاربة الفكر، فكانت حملتها تستهدف هذا الشعب جسما وفكرا فقامت تطارد الاثنين معا عن طريق البدع والخرافات المتمثلة في إقامة الزوايا وتشجيع الصوفية المنحرفة عن الدين الإسلامي.

بقد آلت أوضاع الجزائر في بداية القرن إلى هذا المنعرج الخطير في حياتها الدينية والفكرية فهي عقيدة مشوهة تسلط عليها المستعمر فجردها من براءتها الأصلية وبين عقيدة جديدة تدعو إلى التمدن والحضارة ومع هذا المنعرج الخطير الذي كان يقضي فيه

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص، ص:35، 37.

الاستعمار الفرنسي على الشخصية العربية الجزائرية، كان هناك على مستوى القطر بوادر تبشر بنهضة جديدة على المستوى الفكري والديني لإعادة هذه الحياة إلى منبعها الأصلي فتبلورت هذه النهضة وتجسدت في إقامة المدارس الحرة والمنتديات الثقافية والجرائد الوطنية، وفي هذا الصدد شرع الإمام عبد الحميد بن باديس في تنظيم دروس التفسير وفي سنة 1925 تأسس أول معهد للتعليم المتوسط والثانوي للثقافة العربية الإسلامية والعلوم المعاصرة في ظل الحركة الإصلاحية الصاعدة بزعامة الشيخ "بيوض إبراهيم بن عمري"، تلتها انطلاقة أول بعثة علمية من بني ميزاب في اتجاه جامع الزيتونة سنة 1917 بقيادة الشيخ إبراهيم أطفيش، وقد كانت هذه البعثات فرصة للعلم والإصلاح، كما استطاعت أن تخلق جوا ثقافيا وفكريا له منهجه العصري، وبالتالي فإن المجال السياسي كان يشهد صراعا بين النخبة المعتدلة والمستخزية وإن حركة الأمير خالد البعيدة عن التطرف تدعوا إلى المطالبة بحقوق الجزائريين الضائعة، وكانت هذه المطالب في نظر النخبة ابتعادا عن سياسة الاندماج وسعيا حثيثا نحو شخصية جزائرية مستقلة.

وقد عرفت الجزائر في نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين ميلاد صحف عربية يصدرها مستشرقون فرنسيون وأتباعهم ففي سنة 1899 صدرت جريدة "النصيح" إدوارد جوسلان، وصدرت "كوكب إفريقيا" سنة 1907 لمحمد كحول، إضافة إلى ظهور مجموعة من الجرائد الأدبية الحرة "جريدة الجزائر" وجريدة "الحق الوهراني".

إن هذه المجالات الفكرية سواء ما طال عمرها أو قصر وهذه الصحف المتباينة أفكارا واتجاهات، وتلك النوادي الثقافية التي تعيش في أفق محدد وتلك المدارس الحرة التي لا تفتح بعصامية شعبية إلا لتغلق بأيدي استبدادية، كل هذه المجالات المتفاوتة أعمارا، المتباينة في اتجاهاتها فجرت في الجزائر نشاطا فكريا ملحوظا أبرزه ذلك الصراع الذي كان بين أنصار التجديد الإصلاحي من جهة وبين دعاة الجمود الفكري من جهة

ثانية، كان هذا الصراع سببا في دفع حمود رمضان إلى الاهتمام بقضايا الأدب والفكر، فغاص في بحرها، وأصبح –بما أوتي من موهبة وذكاء– يتقدم طائفة الشباب المتفتح الذي طبع إنتاجه الفكري شعره ونثره بالتمرد والغضب حينا، واليأس والتشكي حينا آخر.[1]

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص، ص:37، 38، 40، 52.

الفصل الثاني

شعر رمضان حمود دراسة موضوعية

المبحث الأول : النزوع الرومانسي لدى " رمضان حمود"

لا يمكن التعرف على الاتجاه الوجداني في الشعر الجزائري الحديث من غير الحديث عن الرومانسية باعتبارها جزء فيه من غير أن " البداية الحقيقية لهذا الاتجاه إنما بدأت في الأشعار التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية مع بداية الوعي بالواقع الاجتماعي والسياسي، فإن الأوضاع المؤلمة التي فرضها المستعمر آنذاك تعد مؤشرا أساسيا في طغيان مشاعر الحزن والكآبة التي لونت الشعر الجزائري آنئذ حتى غدت طابعا عاما يميز أغلب الانتاج الشعري الذي ظهر في العشرينيات"[1] حتى غدت طابعا وعليه فقد حمل لواء الحركة التجديدية للأدب في الجزائر رمضان حمود من خلال سلسلة مقالاته التي نشرها في جريدة " الشهاب" 1927 ولو تأملنا مقالاته التي نشرت تحت عنوان " حقيقة الشعر وفوائده فهي " لا تشكل سلسلة المقالات الرفيعة التي نشرها رمضان حمود تحت عنوان "حقيقة الشعر وفوائده" " العمود الأساسي لكتاب بذور الحياة" وحسب، بل وأيضا التفصيل النظري لجوهر الرؤية التي اختص بها رمضان حمود في تاريخ الشعر الجزائري الحديث، الذي لم يكن استأنف ممارسته بعد!"[2]

وقد نشر رمضان حمود سلسلة مقالاته النقدية لواقع الشعر العربي بجريدة الشهاب[3] ابتداءا من الثالث من شهر فيفري سنة 1927، وهذا التاريخ لم يأت صدفة إذ جاءت في وقت كانت فيه الأمة العربية منشغلة لتتويج أحمد شوقي أمير الشعر العربي، فجاءت آراء رمضان حمود المناهضة للمفهوم التقليدي المحافظ للشعر والدعوة إلى التجديد من منحى وجداني رومانسي، إذ سار في الاتجاه الذي سار فيه الشعراء والنقاد الرومانسيون في أوروبا

---

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، 1925 . 1975 ، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 1985 ، ص 89 .

[2] يوسف ناوري، الشعر الحديث في المغرب العربي، ج1 ، ط1 ، دار توبقال، المغرب،2006 ، ص 233.

[3] مجلة أصدرها الإمام عبد الحميد بن باديس ومجموعة من المثقفين بقسنطينة، من 1925 . إلى غاية 1939 .

لاسيما في فرنسا وهو بناء نظريات جديدة على أنقاض نظريات كلاسيكية قديمة، إذ هذا التصور المحدث دفع رمضان حمود على توجيه نقد لاذع لرائد المدرسة المحافظة وحامل لوائها في الأدب العربي أحمد شوقي، فمن خلال نقده لشعر شوقي وتبيانه لنقاط الضعف في شعره ، أعلن ثورته على المفهوم التقليدي المحافظ للشعر، وهو الذي قد يعوق الشاعر عن التعبير عن كل ما يخالج نفسه بصدق وحرية، داعيا بذلك إلى أدب جديد ومفهوم آخر جديد للشعر، إذ يلتقي هذا المفهوم المحدث الذي جاء به رمضان حمود في عدة نواح مع مفهوم الشعر الحر الذي جاء به شعراء المدرسة الرومانسية الفرنسية، فقد كان رمضان حمود معجبا بشعراء الثورة الفرنسية وأدباءها أمثال: " لامارتين، فيكتور هيجو، ولاموني" هذا الأخير الذي ترجم له رمضان حمود قطعته النثرية الشهيرة " المنفى" فعربها " ويبدو أن رمضان حمود كان على معرفة بما جاء مت تعريفات للشعر عند فيكتور هيجو فعندما يقارن المرء بين آراء رمضان وبين آراء فيكتور هيجو حول هذا الموضوع يدرك الشبه الذي لا يمكن أن يأتي اعتباطا أو صدفة لأن بعض الفقرات التي أوردها رمضان في مقاله عن حقيقة الشعر تكاد تكون ترجمة حرفية لما قاله فيكتور هيجو في تعريفه للشعر"[1]

وبذلك عمت فائدة التصور الأوروبي لمفهوم الشعر ووظيفته على القصيدة العربية محورا لها من الوزن والقافية فالشعر حسب الشعر حسب رمضان حمود" في بداية نشأته الأولى وفي أقدم عصوره لم يعرف هذا النوع من الموسيقى الشعرية المتمثلة في الوزن والقافية"[2]

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، 1925 . 1975 ، ص 116 .

[2] محمد الهادي بوطارن ، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص 30 .

ولذلك " اعتبر الترجمة والعلاقة بالآخر عنصر للتفاعل والانفتاح على أنموذج مختلف يقوم بتخصيب الممارسات الشعرية العربية ويهيأ لها أسباب التحديث، ففي ضوء الترجمة والتفاعل مع الآخر استجاب الشاعر العربي إلى الإبدالات التي مست مفهوم الشعر"[1]

وسر نجاح التجربة الشعرية عند حمود يكمن في صدق الاحساس وينظر إلى الشعر ماهية ووظيفة فالشاعر عنده لا يختلف " عن الرسام فكما أن الرسام لا ينجح في فنه إلا إذا تزود بطاقة حية من الشعور، كذلك لا طاقة للشاعر على امتلاك العقول والأخذ بأزمة النفوس إلا إذا أجاد تصوير تلك العواطف الهائلة التي تقوم في ميدان صدرها الرحب عندما يريد أن يعرب للسامع عن خواطره الخاصة والعامة لا مجرد تنميق وتزيير وتكلف وتعمد وكذب فادح، فإن هذا ما ينقص من قيمة الشعر والشعراء في الأمة النبيهة"[2]

هذا ما يدل على أن الشعر الحقيقي في نظره هو ذلك الشاعر المكون للصورة الصادقة المعبرة عن نفسه وعصره كما لا ينقاد في ابداعه إلا لصوت ضميره، فهو الذي يتحمل دور القيادة في الحياة السياسية والاجتماعية والدينية فهو شاعر لا يكتب إلا عن طريق الحلم.

وهكذا كانت بداية الشعر الوجداني الجزائري مع رمضان حمود متأثرا بإخوانه في المشرق بمن فيهم جماعة الديوان وأدباء المهجر الأمريكي لاسيما أدباء فرنسا.

لم يكتف رمضان حمود بما أسلفناه في نجاح الحرية الشعرية فجعل الصدق الفني شرطا أساسيا في نجاح العملية الشعرية فقال " فلست من الذين يكتبون للتسلية أو الترويح عن النفس أو من الذين يتلذذون بالعبارات المنمقة الرقيقة، ولكنني أكتب لأفيد وأستفيد وأكتب لا ليقال أنه كتب بل ليقول لي ضميري إنك قمت بواجبك وأديت ما عليك فكن مطمئنا"[3]

---

[1] يوسف ناوري، الشعر الحديث في المغرب العربي، ج1 ، ص 229 .

[2] محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية ، ص 129 .

[3] محمد ناصر ، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 212 .

إن قضية الصدق الفني تثير قضية أخرى هي التي يعتبرها رمضان حمود عنصرا أساسيا لابد من وجودها في أي عمل شعري ناجح وهذا ما دفعه إلى تحدير الأدب الناشئ من التسلح والتزود بالنحو والصرف والعروض والبلاغة والمادة اللغوية مالم تكن في نفسه رغبة شديدة نحو الجربة الشعرية لأن الشعر من وجهة نظر رمضان حمود " ليس بصناعة أو بضاعة كما يقولون ولكنه إلهام وجداني ووحيد ضمير" بنحوك أو بصرفك أو عروضك أو بلاغتك أو بكثرة مادتك إذ لم تجد في نفسك وازعا نحوه أو ميلا إليه وتلذذا غريبا وروحاني اسمعه يكاد ينسيك نعيم الدنيا وما فيها، فإنك إن فعلت ولم تراعي هذه الشروط اللازمة ضيعت وقتا نفسيا وعمرا ثمينا وجنيت حزنا وعارا"[1]

وبالتالي فالشعر عند رمضان حمود طبع بطابع الهامي وجداني ونفى عنصر الصناعة والتكلف في قول الشعر " ويبدو أننا نستطيع القول بأن رمضان حمود كان يدعوا في نقده وشعره بوعي وفهم إلى أدب ذي مضامين إنسانية ثورية يتفجر من عاطفة صادقة الاحساس متميزة، أصيلة، مما يجعلنا نعتقد بأن الاتجاه الرومانسي التجديدي في الشعر الجزائري الحديث كان سابقا إلى الالتزام والثورية وأن هذه الخصائص لم تكن من مميزات شعر الثورية التحريرية أو شعر ما بعد الاستقلال وحدهما"[2]

إن الرومانسية مولعة بالطبيعة ومظاهرها وبما أن رمضان حمود رومانسي النزعة فقد وظف الطبيعة وتغنى بجمالها، ونجد هذا في قصيدته " أهلا وسهلا يالنبي"[3] حيث يقول :

الكون أشرق بعد طول ظلامه *** ويتقض الوسنان من أحلامه

وهفى النسيم على الغصون مغازلا *** فتفتق النوار في أكمامه

والرض أزهر والورود تبسمت *** والجود جاد بسحبه وغمامه

---

[1] الشهاب س2 ، ع 82 ، (03 / 02 / 1927) ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط1 ، 2001 ، ص 790 .

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 65 .

[3] المرجع السابق، ص 188 ، 189 .

والشمس تنشر في السماء نضارها *** والريح يزفر من عظيم هيامه

والماء يجري في الجداول عازفا *** والطير يرقص من هوى أنغامه

والسر يشمخ للسماء بأنفه *** والظل يمتد على أقدامه

والليل يبعث في النفوس مهابة *** ويبشر الولهان قرب مهانته

ثم إن المدرسة الفرنسية تغنى بالقصائد الإنسانية كما تغنى أيضا بالفرد في لآلامه ونزعاته كما ترمي إلى الكشف عن باطن الإنسان والتغلغل في دواخله وفي هذا الاطار نجد بعض القصائد الإنسانية لدى رمضان حمود التي يصور لنا من خلالها ما يدور في نفسه من آمال وآلام وما عاشه من صراعات داخلية مع نفسه في قصيدته " الصراع النفسي"[1] حيث يقول :

لو كنت شخصا بليدا *** أعمى البصيرة، تائه....

في الجهل أسعى، وأعدوا *** ورافلا في هوائه....

له على أياد *** على ثوب هنائه...

لكنت أسعد حظا *** من عالم بذكاءه....

إذا دعاني ضميري *** نبذت صوت ندائه....

أو جاء عرضي ليقضي *** قطعت حبل قضائه

لا أخدم الفكر إلا مقللا *** من بلائه

كما عنيت الرومانسية بتوظيف الرموز وهو ما نجده عند رمضان حمود في قصيدته " الحرية" التي ساقها بأسلوب رمزي فيتغزل بالحرية والاستقلال كما أنه يتغزل بحبيبته واصفا اشتياقه لها متلهفا للقائها، إلا أن حمود فك رمزه هذا من خلال العنوان الذي اختاره للقصيدة فاستبق الايحاء لها مباشرة بأنه يقصد الحرية ولا يقصد الحسية.

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 192.

مما سبق نخلص إلى أن رمضان حمود استطاع أن ينقل الأدب الجزائري نقلة نوعية بفضل المفاهيم التجديدية للشعر التي جاء بها فكان مفهومه للشعر ذو مصدر روحي ووجداني رافضا كل تقيد بالوزن والقافية مناديا برسالة الشاعر الحقيقية على اعتبار الصدق الفني ركيزة أساسية في القصيدة الناجحة، داعيا إلى ضرورة التفتح على التوجه الإبداعي الجديد الرومانسي مع ضرورة الاستفادة من الآداب الأجنبية.

المبحث الثاني: وصف الواقع المرير للشعب الجزائري:

إن الحالة النفسية والمأساوية التي عان منها الشعب الجزائري خلال فترة الاستعمار تعد جانبا هاما من قصائد رمضان حمود، ولنا من شعره الذي يصور لنا فيه حالة هذا الشعب وما يعانيه نأخذ على سبيل المثال قصيدة تحت عنوان " دمعة على الأمة"[1] يبدو فيها حمود حزينا ومشفقا على مصير الشعب الجزائري الذي وصل إليه وذلك بترديده لكلمة (بكيت) أكثر من عشر مرات حيث يقول :

بكيت ومثلي لا يحق له البكا *** على أمة مخلوقة للنوازل

بكيت عليها رحمة وصبابة *** وإني على ذاك البكا غير نادم

ذرفت عليها أدمعا من نواظر *** تساهر طول الليل ضوء الكواكب

بكيت على قومي لضعف نفوسهم *** على حمل أثقال العلى والفضائل

بكيت عليهم والحشا متقطع *** بكائي على طفل ضعيف العزائم

بكيت عليهم إذ رأيت حياتهم *** مكدرة مملوءة بالعجائب

بكيت عليهم إذا نسوا كل واجب *** ومالوا إلى حب الهوى والرذائل

بكيت عليهم كلما هب حرصهم *** وظنوا بأن المرء عبد الدراهم

بكيت عليهم . لا أبا لك . فالبكا *** طبيب، يبل الصدر عند المصائب

[1] الشهاب، س2 ، ع 61 ،(1926/10/11) ، ص 414 .

بكيت فلم أجد البكا عليهم *** فلون الدجى يبدو لهم غير حائل

بكيت على شبابنا وغرورهم *** فما بالهم لا يهتدوا بالأوائل

بكيت على روح البلاد تضاءلت *** بجهل، وخذلان، وكفر النعائم

بكيت على الأيام ثم نحوسها *** فعاش كريم النفس رهن المخالب

ولم أبك جنب أو مخافة ناطق *** فلي همة منتامة للجلائل

ويقول في نفس الغرض في قصيدة أخرى تحت عنوان " شعبي الكئيب"[1]

ما لشعبي الكئيب بات حزينا *** يرسل الدمع تارة والأنينا

بات يشكو الهوان والليل داج *** مثل حظ الشقي والبائسينا

بات يحصي النجوم، والدمع ينسا *** ب على الوجنتين، دمعا هتونا

قلت هون فأنت كالبدر فينا *** أنت منها أب ونحن البنونا

يا حبيب القلوب مهلا فإني *** بالفدا لا أكون عنك ضنينا

يرى الشاعر في هذه الأبيات أن الشعب الجزائري يعاني البؤس والظلم وأن هذا الشعب كئيب وحزين فقد شبه حزن الشعب بظلام الليل الحالك فهذا الشعب لطالما حزنه وكآبته فهو يفتقد لعزيمة ينهض بها.

فالشاعر يبكينا من خلال هذه الأبيات ويصور لنا حالة هذا الشعب الحزين وكانت نظرة الشاعر تشاؤمية وهذا ما نراه عند الشعراء الرومانسيين ولاسيما أبي القاسم الشابي ورمضان حمود لم يجد شيئا ليعبر به عن حزنه سوى البكاء.

كما يعبر الشاعر في أبيات أخرى عن جهل الشعب وغفلته ودليل ذلك قول رمضان حمود في هذه الأبيات التي نأخذها من نفس القصيدة التي ذكرناها سابقا حيث يقول :

جمود وجهل وافتراق تجمعت *** علينا فلم نحفل برفع الدعائم

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، أعداد وتقديم عبد الله حمادي، ص 286 .

سلكنا طريقا للوبال مصره *** نبذنا حياة الشعب عنا بجانب

فسيروا حثيثا واستردوا فخاركم *** فبئست حياة المرء تحت الأداهم

ستبدي لنا الأيام كل كريهة *** إذا نحن سرنا في طريق الغوافل

إن رمضان حمود نجد في هذه الأبيات أنه ضد الجمود الفكري حيث أنه يدرك ويعي جهل الشهب الجزائري الذي نتج عن سبب الاستعمار فقد تحول هذا الشعب إلى صناديق مغلقة ويؤمر شعبه بأن يسرعوا في استعادة فخره ومجده والاقبال على المعارف والعلوم.

فالشاعر يصور لنا ما خلفه الجهل من انحرافات في العقيدة والدين في المجتمع الجزائري وما ينشره من فساد وظلم حيث يقول في قصيدة أخرى تحت عنوان " فحياة العز بالعلم ثمين"[1]

عرفوني بشعوب ارتقت *** بضلال وسكون البلهاء

عرفوني بشعوب اعتلت *** وبنوها في صفوف الجهلاء

بين شر وفجور وفساد *** لا يراعون عهودا أو مصيرا

ويسترسل في قصيدته ليذكر العواقب الوخيمة التي يخلفا الجهل حينا ومشجعا على الاقبال على العلم والتزود به حينا آخر إلى أن يصل إلى التعبير عن فكرة الاستقلال التي كانت على لسان كل وطني يطالب بحقه الشرعي، يقول:

خبروني ببلاد سعدت *** واستقلت باختلاف ونفاق

خبروني ببلاد شقيت *** باتحاد وائتلاف ووفاق

أنا والله ضنين بالبلاد *** وكريم بنفيس وحقير

ويختم الشاعر القصيدة بالدعوة وإلى الاتحاد في الكلمة وفي العمل فيقول:

لا فراق بينكم فاتحدوا *** شعبكم فرد ودين مقتدر

[1] محمد ناصر ، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 171 . 172 .

إنما الإسلام جنس واحد *** باذر الأحقاد فيه قد كفر

أتمنى أن أراكم في وداد *** أملي فيكم وطيد وكبير

المبحث الثالث: الوقوف أمام الظلم والعدوان:

لقد عان الشعب الجزائري من مخالفات الاستعمار من جهل وتخلف وأمراض وجمود، فاهتم رمضان حمود بهذه النقطة فجاءت دعوته إلى رجال هذه الأمة أن يفيقوا من سباتهم، لمواجهة هذا الظلم وهذا الفساد الذي يعاني منه الشعب حيث نجده في هذه الأبيات يخاطب شعبه فيقول:

يا كرام الناس قوموا *** من سبات لا يليق

أنبذوا الجهل وروموا *** كل علم واستفيقوا

أنبذوا ذاك التواني *** وافعلوا فعل الرجال

ارفعوا فوق البنود *** مجد شعب في ذهول[1]

هذه دعوة فيها الحاح من الشاعر أملا في أن تكون حافزا قويا لهذا الشعب لاستجابة النداء.

فالشاعر يدرك أنه أمام واقع مرير استطاع الاختلال بأساليبه الشيطانية أن يقتل في هذه الأمة روحها الوطنية والفداء والجهاد

ونجده في قصيدة أخرى تحت عنوان " فحياة العز بالعلم الثمين"[2] ويقول فيها:

لن ينال العز شعب كالجماد *** فاقد الاحساس خال من شعور

لن ينال المجد شعب بالرقاد *** يترك اللب ويعنى بالقشور

إنما المجد قرين بالجهاد *** ووئام وثبات في الظهور

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 167 .

[2] المرجع نفسه، ص 172 .

لست أدري كيف تفني أمة *** عمرها في الذل وترضى العدم

لست أدري كيف تبقى أمة *** في اضطهاد وعذاب المنتقم

فر رمضان حمود في هذه الأبيات يواجه شعبه المتخاذل النائم ويرى المجد والحرية لا تأتي بالنوم والكسل والخمول وإنما تأتي بالثورة والمجد والعمل والنهوض في سبيل الحرية والاستقلال وصرخات الشاعر التي تتعالى في هذه الأبيات سيخمدها الخونة والجبناء وسيخمدها الاحتلال بنفسه حتى لا ينهض هذا الشعب وهذه الحالة تحدث مع كل شاعر وكانت في أي أزمة أو أوضاع تعيشها الأمم.

فالشاعر رغم الحرية التي يعيشها في نفسه إلا أنه ليس حرا في الواقع كما يريد.

فالشاعر بدعوته هذه لا يريد جزاءا ولا شكورا وإنما يريد نهضة هذا الشعب وربما دعوة الشاعر سيتجاوب معها قليل من الشعب الذي هو أيضا مثل حمود الذي يريد النهضة ويقول في قصيدته " في سبيل الحق" الأبيات الآتية:

في سبيل الله والح *** ق ندائي وفعالي

في سبيل الدين والش *** ب صيامي وغرامي

في سبيل الشرف والإس *** لام حبي واشتغالي

في سبيل الز ما لا *** قيت والمجد مضام

مما سبق نخلص إلى أن رمضان حمود يدعو شعبه إلى أن يسير للعلا تاركا حياة الذل والاستسلام للقدر وهي دعوة صريحة إلى النضال من أجل تحرير هذا الوطن.

الفصل الثالث

شعر رمضان حمود دراسة فنية

المبحث الأول: اللغة الشعرية:

إن اللغة ركن من أركان الأعمال الأدبية فهي من أهم العناصر التي لا يمكن الاستغناء عنها وذلك لأنها أداة من أدوات التواصل والتعبير عن الأحاسيس والأفكار التي تراود العقل. وإن رمضان في دعوته التجديدية الشعرية نجده قد اهتم باللغة الشعرية اهتماما كبيرا فالدارس لقصائده يجد أنه قد استعمل لغة سهلة وبسيطة، خالية من الألفاظ الغربية التي تحتم على القارئ العودة إلى المعاجم والقواميس، ذلك أنه اعتمد الشعر أداة من أدوات الإصلاح فهو: "يتوجه بعمله الشعري إلى الغير لا إلى نفسه، ويلتفت أولا وبالذات إلى الجمهور المتلقي الذي يهمه أن يفهم عنه، ويقتنع بآرائه ومن ثم، فهو يحاول أبدا أن يكون واضحا في ألفاظه ومعانيه، يتوخى البساطة المتناهية في الألفاظ والتراكيب"[1].

فرمضان حمود ارتكز على اللغة السهلة والبسيطة في دعوته التجديدية إلى الشعر فهذه اللغة البسيطة تنبع من الشاعر نفسه.

واللغةالشعرية التي يفضلها هي المتمشية مع روح العصر المتطورة معه، المستجيبة لمتطلباته،لغة سهله التناول من طرف المتلقين،بسيطة تصل الى النفس الإنسانية بدون جهد او تكلف، فهي لا تتعالى بكلمات غريبة معقده كما لا تسف إلى عاميتها شوهاء مبتذلة،إنها اللغة الوسطى كما يعبر عنها اليوم"[2].

فالشاعر في نظر حمود يجب أن يُخاطب الجمهور المتلقي باللغة السهلة التي يفهمها ذلك أنه قال: "لا يسمى الشاعر شاعرً عندي إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونها

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص:287.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:67.

بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة، لا أن يكلمونا في القرن العشرين بلغة امرئ القيسوطرفة والمهلهل الجاهلين الغابرين"[1].

وهذا ما جعله يدعو الشعراء إلى "أن ينزلوا إلى مخاطبة الطبقة الوسطى والسفلى من الأمة، أي العامة التي هي هيكل الشعوب ومرجعها الوحيد عند المدلهمات ويقتدوا بشعراء فرنسا وأدبائها إبان انفجار الثورة الكبرى"[2].

دعا رمضان حمود إلى التعبير بالصدق الفني بعيداً عن التكلف والصنعة في اللغة فقال: "فيا أيّها الأدباء الأحداث انبذوا عنكم التكلف والتنطع في اللغة، و أفرغوا المعنى الجميل في اللفظ الجميل، واخضعوا الصوت الضمير والواجب وصفوا أنفسكم من الانتقام قبل الانتقاء ولا تقيدوا كتاباتكم بطريقة أحد مهما كان شأنه وقدره في الأدب، ومهما كان بيانه الساحر"[3].

ولن تكون اللغة الشعرية ناجحة في أداء دورها –في نظر حمود– إلا إذا ابتعد الشعراء عن مزلقين اثنين هما:

التكلف بادعاء الفصاحة والتقليد للغة بعض الشعراء القدامى، واتخاذ لغتهم نموذجا يحتذى، وهذان الأمران يتنافيان مع الصدق الفني في رأي حمود، وهو ما جعله يهاجم أولئك الشعراء الذين يستخدمون الألفاظ الغريبة والأساليب المعقدة، وعلى الرغم من مهاجمته لمثل هؤلاء الشعراء إلا أته وقع فيما وقعوا هم فيه، فنجد في بعض قصائده ألفاظاً غريبة صعبة الفهم على القارئ العادي الذي لم يألف التعامل معها وهي قليلة جدا، نذكر منها على سبيل المثال كلمة "دار الحمل" في قصيدته "الرجل بنفسه"[4] حيث قال:

---

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:133.

[2] المرجع نفسه، ص نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص:134.

[4] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص:288.

فهاته غايتي بالجد أبلغها *** وأبتني منزلا في دارة الحمل

ومثله الألفاظ "الآسل" و"الطروس" و"الوهل" في قصيدة نجده يوجهها إلى "إبراهيم أبو اليقضان" أسماها: "إليك أيها الرجل العظيم !! يا محرر وادي ميزاب"[1] نجده يقول:

لله دَرُّ أبي اليقضان نابغة *** في عصره، فهو ليث الغاب والأسل

حامي البيان إذا سالت محابره *** فوق الطروس بجزل القول والغزل

لهفي على أمتي عاشت مكدّرة *** ما بالها سَبَحَت في الذّل والوهل

"وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه الألفاظ أخذت تختفي في معجم قصائد شاعرنا وخاصة تلك التي نشرها سنة 1929م، حيث بدت لغتها الشعرية مفهومة لدى الجمهور المتلقي، وهي غايته المثلى التي كان ينشدها من خلال رأيه حول اللغة ودورها في توعية الجماهير الشعبية وتطويرها"[2].

وبما أنم رمضان حمود من رواد شعراء الحركة الإصلاحية الذين تسلحوا في دعوتهم بلغة شائعة، بسيطة ومتداولة تتدرج في معجم شعري متشابه يساير طبيعة المرحلة الاستثنائية التي كانت تمر بها البلاد وقتها.

ومن الأمثلة التي تدل على بساطة اللغة في شعر رمضان حمود نأخذ هذه الأبيات من قصيدته "أركضوا نحو الأمام"[3]:

يا كرام الناس قوموا *** من سبات لا يليق

أنبذوا الجهل وروموا *** كل علم واستفيقوا

أنبذوا ذاك التواني *** وافعلوا فعل الرجال

اتركوا بتلك الأماني *** إنها بحر الضلا

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:168.

[2] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص:155.

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:167.

كل شر في الجمود *** كل عيب في الخمول

ارفعوا فوق البنود *** مجد شعب في الذهول

والخاصية الثانية التي تمتاز بها لغة حمود الشعرية هي التضمين والاقتباس والنزعة الخطابية حيث اقتبس شاعرنا من مصادر اللغة العربية المعروفة كالقرآن الكريم، والشعر العربي القديم، باعتبار أن هذه المصادر التي تحتوي التراث العربي الأصيل هي الطابع المميز للثقافة العربية في تلك الفترة من حياة شاعرنا.

فشاعرنا تأثر بالقرآن وضمن آثاره في عدة أبيات نأخذ على سبيل المثال قصيدة "علام نلوم الدهر"[1]:

قبيح بني قومي السكوت مخافة *** وشعبكم يدعو "ألا من يناضل"؟

قبيح عليكم أن تردوه خائبا *** وفي الذكر أن الله للخلق قائل

فإن تنصروني إنني خير ناصر *** وإن تخذلوني فالشقا والبلابل

إنه تضمين من الآية الكريمة: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2].

وقوله أيضا في قصيدة "جمال الكون وبدائعه"[3] هذا البيت:

لو لم يكن في الكون رب واحد *** لتشاجر وتقاتل الخصمان

فهذا البيت تضمين أيضا لمعنى الآية الكريمة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[4].

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:182.

[2] سورة محمد، الآية 8.

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:178.

[4] سورة الأنبياء، الآية 22.

أما فيما يتعلق بالاقتباس من الشعر العربي فقد ورد في مثل قوله وهو يفتخر بنفسه في قصيدة "الرجل بنفسه"[1]:

وأبدل النفس في سبل الحياة فدى *** ولا أعول في الدنيا على رجل

فالشطر الثاني من البيت هو اقتباس من لامية المعجم للطغرائي، اما الحديث عن النزعة الخطابية التي اتسم بها شعر صاحبنا نجدها في القصيدة التي وردت تحت عنوان "وحي الضمير"[2] أعاد عبارة دعوني أناضل على أمة ثلاث مرات فجاءت القصيدة على النحو الآتي:

دعوني أناضل على أمة *** توارت حقوق لها بالحجاب

دعوني أناضل على أمة *** فضائلها بين ظفر وناب

دعوني أناضل على أمة *** عليها توالت شرور الذئاب

وأخيرا، إن لغة حمود تمتاز بأسلوب بسيط وألفاظ سهلة وواضحة، وكذلك نزعة خطابية، لم تكن ضعيفة أو ركيكة، وإنما ظلت لغة محتفظة بالمتانة والجزالة والقوة وهي خاصية تدل على تمكن الشاعر من اللغة العربية ومفرداتها وقواعدها النحوية والصرفية "وما من شك أن الحفاظ على اللغة العربية في الجزائر في الإنتاج الفكري والأدبي، كان هدفا من أهداف الحركة الإصلاحية، وأن هذا الموقف لم يكتسب بُعداً دينيا أو ثقافيا أو اجتماعيا فحسب، بل اكتسب أيضا بُعْداً سياسيا إذ أن الحرص على بقاء اللغة العربية على ألسنة الجزائريين فصيحة نقية، يعني الحرص على المقومات الأساسية للشخصية الوطنية أمام الغزو الفرنسي"[3].

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:167.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:187، 188.

[3] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص:294.

المبحث الثاني: الصورة الشعرية:

إن الصورة الشعرية من أهم العناصر التي يتميز بها العمل الشعري ويكتسب صفته الفنية وهي قديمة في النقد العربي، حيث عدّ الجاحظ "الشعر" "صناعة وضرب من التصوير"[1] فالصورة هي الأداة التي يتخذ الشعر عن طريقها سبيله إلى التأثير في المتلقي إيحاءًا، ورمزا والصورة الشعرية تكون حسيّة أو شكلية.

ونجد رمضان حمود في سلسلة مقالاته أنه اهتم بالصورة الشعرية غير أنه لم يولها الاهتمام الكافي "والصورة الشعرية عند حمود إذا التمستها في شعره أعياك وجودها إلى فيما نذر"[2] فالصورة عند حمود قل ما نجدها وذلك يعود إلى أنه اعتمد على المخاطبة المباشرة لشعبه دون الاعتماد على الصورة الخفية في شعره.

إن الشاعر والمصور في نظر رمضان حمود أجيران حيث يقول: "الشاعر والمصور أجيران للفن والجمال، وكلاهما مدين للإجادة والتدقيق في النظر والبحث، فهذا في المحسوسات وذلك في المعنويات، فكما أن المصور لا يقدر أن يتقن صورته إلا إذا تزود بجانب وافر من الشعور والطاقة وكأن الشكل والمنظر الذي يريده أمامه يراه بعيني رأسه، فكذلك الشاعر لا طاقة له على امتلاك العقول والأخذ بأزِمَّةِ النفوس إلا إذا أجاد تصوير تلك الوقائع الهائلة التي تقوم في ميدان صدره، عندما يريد أن يعرب للسامع عن خاطر من خواطره الخاصة أو العامة كانت،لا بمجرد تنميق وتزوير، وتكلُّف مشينٍ وتعمُّلٍ بارد، وكذب فادح. فإن هذا ما ينقص من قيمة الشعر والشعراء في نظر الأمة ومما سيزيدها في سماع بنات أفكار الفحول منهم..."[3]

---

[1] الجاحظ (أبي عمرو بن بحر بن محبوب) الحيوان، ج2، ط1، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1938، ص:121.

[2] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:169

[3] الشهاب: س2، ع82، ص:788، 789.

والصورة الشعرية تتطلب حواس متطورة ذلك أن الصورة المعنوية فيها يبدأ الشاعر من التأمل الدقيق الذي يساعد على استيعاب الموضوع، ثم إن هذا المتأمل هو الذي يجنب الشاعر المصور الوقوع في شباك التنميق والتزوير، أو كما يسميه حمود بالتعمل البارد، والصورة الشعرية القليلة التي وجدت في شعر رمضان حمود هي حسية وشكلية، فصاحبها "يميل إلى وصف الأشياء وصفا حسيا يتناول الخصائص الثابتة كاللون والحجم، والشكل والوقوف عند هذه الجوانب التي تعتمد أساسا على حاستي البصر والسمع، دون التغلغل إلى بواطن الأشياء والنفاد إلى جواهرها، باستخدام الحدث والخيال، لا باستخدام الوعي، والمنطق والعقل، إضافة إلى الولع بالزخرفة والتشكيل ووصف الأشياء من مخارجها دون محاولة التعاطف معها والامتزاج بها"[1].

"فحمود يقف من موصوفاته هذا الموقف الحسي، لا يستخدم مخيلته ولا يتعاطف مع ما يتناوله بالصدق والإحساس الباطني للأشياء الموصوفة، بقدر ما يجهد نفسه من أجل البحث عن الصور والتعابير التي تضفي على الأشياء الموصوفة قوة الأشياء المنظورة المحسوسة"[2].

ومن القصائد التي نجد فيها صورة شعرية حسية منجلية بصورة كبيرة قصيدته "جمال الكون وبدائعه"[3]، فقال:

انظر إلى الكون البديع بنوره *** وظلامه وسكونه الروحاني

و نسيمه وهبوبه ومياهه *** وخريرها وجماله الفتان

وسحابه بسمائه منقطعا*** عند الغروب وهو أحمر قاني

متشتتا كالفلك في إمسائها *** فكأنه قطع من المرجان

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص:446.

[2] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:170.

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:178، 179.

وجباله المرساة فوق متونه *** تبدي جليا قوة الرحمن

ونباتها المخضر مثل زبرجد* *** يزهو يزهو الروح والريحان

أردية من سندس فكأنها *** منقوشة بالتبر والعقيان

وجداول تختال بين زهورها *** ومسيرها تنساب كالثعبان

فإذا شاع النور صافح خذها *** ونظرتها فورا بدون توان

خلت الحياة سبائكا من فضة *** صبت جداول في فضاء جنان

لقد وقف رمضان حمود في هذه القصيدة يتغنى بجمال الكون وبدائعه، واصفا الطبيعة وصفا حسيًا معتمدًا على الرؤية البصرية وذلك من خلال قوله "أنظر" فوصف الكون بظلامه وسكونه، ونسيمه، ومياهه، سحابه، جباله، سهوله، نباته المخضر، جداوله والشمس عند شروقها وذلك باعتماده على تشبيهات في الوصف الحسي دون الاعتماد على مخيلته الشعرية ذلك أن هذه المخيلة "هي الشاعرية الحقيقية ولكن ليس بهذا القفز والتوثب من مشهد إلى آخر وهو أمر جنى على صور الشاعر، فأصابها بالقطع والابتسار وسمها بالحسية والسطحية"[1].

وقد اعتمد في قصيدته على جملة من التشابيه، فشبه السحب المتفرقة في الأفق عند غروب الشمس بالفلك، وشدة حمرتها جعلتها تبدو كأنها قطع من المرجان، كما شبه النبات المخضر بالزبرجد، وسمائه السندسية كأنها منقوشة بالتبر والعقيان، وصور جداول المياه في انسيابها كانسياب الثعبان، حيث أنه إذا انعكس نور الشمس على هذه الجداول أبصرتها وكأنها سبائكها من فضة، إلى آخر القصيدة من هذه التشابيه المادية.

* زبرجد: هو حجر كريم يشبه الزمرد، وله ألوان كثيرة.

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص:447.

إن رمضان حمود من أولئك المتأثرين بالشعر الأندلسي خاصة في شعر الطبيعة ومعظم صوره الشعرية تقليدية وليست تجديدية، لكن هذا لا ينفي أن قصائده خالية من وجود تصوير شعري فني ويتجلى ذلك في قصائده الرومانسية التي يطغى عليها الجانب الوجداني والأحاسيس والعواطف الجياشة فتصبح الصورة الشعرية الفنية همزة وصل بين الشاعر والمتلقي فهي تصور لنا تجربته الحياتية، ومن أمثلة ذلك قوله في قصيدته "أغنية الأم لابنها العائد"[1]:

عاد الحبيب وثغر الدهر مبتسم *** وبات بحر الهوى بالحب يلتطم

يا حسنها ساعة، قالوا الخليل أتى *** من فضلها سحب الأكدار تنعدم

نجاء بصورة شعرية جميلة جسدها من خلال استعارة مكنية فشبه الأم بالدّهر، حاذفا بذلك المشبه وهو الأم وأبقى على لازمة من لوازمه وهي: الثغر المبتسم عند عودة ابنها الحبيب.

فاحتفلت السماء برجوعه فصفت وخلى وجهها من تلك السحب الرقيقة التي تشوبها وقد يكون استعمل كلمة "الدهر" دليل على المدة الزمنية التي قضاها الابن بعيدا عن أمه.

أما قصيدته "الحرية"[2] التي يقول فيها:

لا تلمني على حبها وهواها *** لست أختار ما حييت سواها

هي عيني و مهجتي و ضميري *** إن روحي وما إليه فداها

إن عمري ضحية لأراها *** كوكبا ساطعا ببرج علاها

فهنائي موكل برضاها *** و شفائي مسلم بشقاها

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص:191.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:182،181.

إن قلبي في عشقها لا يبالي *** تنطوي الأرض أم يخر سماها

قد قضى الله ان تكون كصوت *** و قضى ان يرد روحي صداها

لم أنل من حبيبي إلا صدودا *** وصدود الحبيب نار وراها

هجرتي من غيرذنب، ولكن *** كل ذنبي في كون قلبي اصطفاها

قيدتني، و خلفتني أسيرا *** في يد الوجد محرقا بلظاها

فارقتني بلا وداع ، وخافت *** من وداعي، تعلقي برداها

تركتني ولم تراعي هيامي *** عذبت مهجتي، بشحط نواها

هكذا سنة المحبة تقضي *** بشقائي، ما دمت أبغي لقاها

إيه يا دهر ؟ فارقن بقلب *** يحمل الخطب، و الهموم سواها

أيها الطائر ؟ المحلق فوقي *** هل اجد فيك حكمت و انتباها؟

أترى هل تكون مني رسولا *** يحمل السر للحبيب و جاها؟

بلغنها مقالة من صديق *** حين تأتي ديارها و تراها

طابع هذه القصيدة هو الغزل السياسي الذي يتغنى فيه حمود بحبيبته وهي الجزائر، حيث جاءت هذه القصيدة بصور شعرية فنية رائعة فالمتلقي لهذه القصيدة يخيل وكأن الشاعر يتغزل بامرأة وهذه القصيدة تعد من أجمل القصائد الوحدانية المشهورة التي كتبها رمضان حمود، فعند قراءتها تحس بروح الشاعر فيها وأحاسيسه ومشاعره.

وخلاصة القول: إذ الدارس للصورة الشعرية في قصائد حمود يلاحظ أنها لا تكثر في جميع قصائده، بل اقتصرت على البعض منها وسبب ذلك لا يعود إلى ضعف موهبة الابتكار والتجديد عند شاعرنا، بل إن طبيعة الموضوعات التي تناولتها هذه القصائد مثل الأوضاع الاجتماعية والسياسية والوطنية، كانت وراء قلة الصورة الشعرية في هذه القصائد.

المبحث الثالث: الموسيقى الشعرية:

تعتبر الموسيقى الشعرية من أهم العناصر التي يعتمد عليها العمل الشعري، وإن العلاقة بين الموسيقى والشعر تعود إلى طبيعة الشعر نفسه الذي نشأ مرتبطا بالغناء فالغناء مضمار الشعر على حدّ قول "حسان بن ثابت" –رضي الله عنه– ذلك أن الإيقاع الموسيقي ميزة جمالية في الشعر، "فهذه العلاقة كانت موضع الدراسة بين بعض النقاد المحدثين، حيث اعتبروا التجديد في الشعر يرتبط بالتجديد في موسيقاه، وأنه لا يمكن أن يتم هذا في القصيدة إذا لم يشمل التجديد الشكل الموسيقي العام للقصيدة وأنه أيضا لا يمكن أن يتوفر العمل الشعري على صور جديدة أو لغة متطورة أو خيال مدهش مالم يكن ذلك في إطار إيقاع موسيقى جديد"[1].

وأن الموسيقى تكون "في البحر المختار والروي المناسب، والشاعر المبدع حقا هو الذي يحس بفطرته الفنية، جريان الموسيقى في أبياته حين يختار اللفظ، والكلمة والوزن، والروي المنسجم مع موضوعه"[2].

فكيف كان موقف شاعرنا من هذه القضية، وما مدى مساهمته في تطوير موسيقى الشعر؟

لقد عالج رمضان حمود قضية الموسيقى الشعرية وحاول تطويرها، فثار على نظام القصيدة العمودية، حيث دعا في سلسلة مقالاته النقدية لواقع الشعر إلى عدم اتخاذ الوزن والقافية من ضروريات الشعر وإنما ضرورة وجود الصدق الفني محل القافية والوزن وقد حقق ذلك في قصيدته "يا قلبي"[3] التي نشرها أول مرة في جريدة "وادي ميزاب" عدد: 95 الموافق لـ 10 أوت 1928 "والتي طبق فيها مفهومه للشعر الصادق كما يراه، والذي يستوجب عدم

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:178.

[2] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص:192.

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:186، 187.

التقيد بالوزن والقافية، فلجأ إلى تقسيم أبياته الشعرية في شكل تقابلي أو في شكل متتاليات متساوية تنتهي بقوافي متراوحة لا أثر للوزن فيها إطلاقا، ويراعي حينا آخر الأوزان"[1] كما جاء ذلك في قوله:

أنت يا قلبي فريد من الألم والأحزان
أنت يا قلبي تشكو هموماً كباراً وغير كبارْ
أنت يا قلبي مكلوم، ودمك الطاهر يعبث به الدهر الجبّارْ
ارفعْ صوتَكَ للسماء مرّةً بعد مَرّه
وقل اللهمَّ إن الحياة مُرّه
أعنّي اللهم على اجتراعها
ومدني بقوة فإني غير قادر على احتمالها
اللهم إنها مُرّة ثقيلة فليس لي فيها طريقا

ثم يأتي بعد هذه المقطوعة بخمسة أبيات موزونة مقفاة من بحر الكامل فيقول:

ويلاه من هَمّ يذيب جوانحي *** فكأنما في القلب جذوةُ نارِ
نفسي معذّبةٌ بهمّةِ شاعرٍ *** دمعي على رغم التجلّد جار
حظّي على متن النوائب راكبٌ *** للدهر مثلُ سجيّة الأَشْرار
هو دائماً هو عابس متنكّرٌ *** حتى الطبيعةُ حسنُها مُتَوار

ثم بعدها يعود إلى النظام الأول السابق فيأتي بتسعة أسطر:

يا قلبي هل لأوصابك من طبيب يداويها
وهل لحزنك من غاية يقف فيها؟
ما هذا الشقاء الذي تهتزّ منه جوانبكْ؟

[1] عبد الله حمادي: أصوات من الأدب الجزائري الحديث، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2000، ص: 47.

وما هذه الكآبة التي ترافقك وتجانبك؟

أما آن للسعادة أن تشرق في سمائك؟

أما آن للبدر أن يسطع في ظلماتك؟

أما آن ينطق بالأفراح دهرك الصموتْ؟

فتغيب السعادة وتضمحلّ وتموت

فتصبح في الحياة حرّاً طليقا

وعلى بحر الخفيف أنشد خمسة أبيات فقال:

أيها القلب خفّفِ الحزنَ واصبرْ *** إن في الصبر للكُماة دُروعا

أيها القلبُ والدموعُ سجامٌ ***فأُمُرِ العينَ أن تصون الدموعا

ودعِ الشجوَ والكآبةَ واعلم *** كم فؤادٍ باليأس بات صريعا

ودعِ اليأسَ والأسى وترقّبْ *** إن نارَ الأسى تُذيب الضلوعا

أنتَ إن كنتَ في الوجود غريباً *** فلقد عشتَ فيه حرّاً وديعا

ثم يعود إلى نظام السطور غير الموزونة فيأتي بثمانية أسطر شعرية يقول فيها:

يا قلبي لا تبك على حظك المنكود

ولكنْ يقولون أن البكاء ضعف في العزيمة

ولكن تبعثَ فيك حرّ البكا شدة ويأسا

ويحظّك على القيام بالواجبْ

وإن تعدّدت الخطوب وتوالتِ المصائب

إذا فأيك من الدموع مدرارا

فالبكاء شرفٌ وذمّة مهما كان حريقا!

وينهي قصيدته بخمسة أبيات مقفاة وموزونة على بحر الخفيف حيث قال:

رنة تجرح الحشى وتذيب *** وبكاء تطير منه القلوب

في بلادي ترى الهوان جبالا *** فرؤوس الصغار منهتشيب

كل فرد يشكوا هموما تقالا *** لست أدري متى الحياة تطيب؟

لست أدري متى نكون رجالاً *** لسن أدري متى الشقاء يغيب؟

يا إلهي! منك الشفاء لشعبي *** رب رحماك، أنت أنت الطيب

لكن كانت هذه القصيدة تجربة وحيدة من رمضان حمود لكتابة الشعر الحر كما يتصوره فتميزت عن جملة قصائده التي تقارب الثلاثين قصيدة بتعدد الأوزان وتغير القوافي، زواج فيها بين بحر الخفيف وبحر الكامل، مازجا بين العبارة النثرية والشعر العمودي.

"ثم إن تجربة حمود في نظم القصيدة المتعددة القوافي فريدة من نوعها بين الشعراء المعاصرين له الذين كانوا يلتزمون بالقافية الواحدة. وقد نظم الشاعر الكثير من القصائد ذات الوزن الواحد والقافيةالواحدة، وإن كان شعره لا يزيد عن ثلاثين قصيدة، وست مقطوعات استخدم القافية المتعددة في ست منها، وهو كثير إذا قيس بالإنتاج الشعري المعاصر في تلك الفترة والذي حافظ فيه الشعراء على القافية الواحدة"[1].

وهذه القصائد الست التي نوع فيها رمضان حمود بين القوافي هي: "دمعة على الأمة أركضوا نحو الأمام، فحياة العو بالعلم التمين، موت الغريب، آية في البؤس، في سبيل الحق، ويا قلبي".

وعلى سبيل المثال نذكر أيضا قصيدته "دمعة على الأمة"[2] التي أحدث فيها نوعا من التجديد الموسيقي، والتي جاءت على وزن الطويل، حيث بناها على أساس مقطعي وزع

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ص:182.

[2] الشهاب: س2، ع61 (1926/10/11)، ص:414.

الشاعر أبياتها إلى عشر مقطوعات وأخضع قافيتها للتناوب الروي بتوالي ترتيب الحروف: اللام والميم، والباء، وذلك على النحو التالي:

بكيت و مثلي لا يحق له البكـا *** على أمّة مخلوقة للنـــوازل

بكيت عليها رحمة و صبابــة *** وإنّي على ذاك البكا غير نـادم

ذرفت عليها أدمعا من نواظـر *** تساهر طول الليل ضوء الكواكب

بكيت على قومي لضعف نفوسهم *** على حمل أثقال العلى والفضائل

بكيت عليهم، والحشا متقطـع *** بكائي على طفل ضعيف العزائـم

بكيت عليهم، إذ رأيت حياتهم *** مكـدرة مملوءة بالعجـــائـب

وقصيدة "في سبيل الحق"[1] والتي هي من مجزوء الرمل، استعمل فيها الشاعر قافيتين ينتهي الأول بحرف اللام والثاني بحرف الميم كما جاء في القصيدة حيث قال:

في سبيل الله والحـ *** ـق ندائي وفعالي

في سبيل الدين والشعـ *** ـب هيامي وغرامي

في سبيل الشرق والإسـ *** ـلام حبي واشتغالي

في سبيل العز ما لا *** قيت والمجد مضام

"وقد استمر رمضان حمود في محاولاته هذه التي توّجها بقصيدته التجريبية "يا قلبي" التي حاول أن يطبق فيها دعوته إلى التحرر من القافية والوزن معًا، ولكن القدر لم يمهله حتى ينضج هذه التجارب، ونحسب أن بين محاولات رمضان هذه، ونزعته التجديدية رابطا قوياً يعو إلى اطلاعه على الآثار الرومانسية الفرنسية من جهة، ويعود إلى تأثره بالشعر المهجري من جهة ثانية"[2].

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص:176، 177.

[2] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص:203.

إن القصائد التي جاءت في شعره على وزن وقافية واحدة يبلغ عددها تسع وعشرون قصيدة، ففي حرف الراء منها قصيدتان والنون والهمزة ثلاث لكل منهما، والعين والدال اثنان، ثم الكاف والفاء والهاء مرة واحدة، واللام منها خمس قصائد وحرف الباء والميم أربع قصائد.

أما فيما يخص الموسيقى فإنها لا تختلف كثيرا عن الموسيقى التي عمد إليها أغلب شعراء العصر الحديث، وقد جمع في أشعاره بين الأوزان التقليدية الرصينة كالطويل، الذي نجده في قصيدته "دمعة على الأمة" وبين الأوزان اللينة الإيقاع ومثال ذلك بحر الكامل في قصيدته "يا قلبي".

ومن القصائد التي استعمل فيها بحر الرمل مجزوءاً نذكر "في سبيل الحق".

ومما سلف نلخص إلى أن رمضان حمود استطاع أن يحدث نمطًا جديدًا في الموسيقى الشعرية حيث جمع في أشعاره بين التراوح في القوافي والقافية الواحدة، وكذلك بين القصيدة العمودية الموزونة ذات الوزن الواحد والقصيدة الحرة الخالية من كل وزن. وهذا ما دعا إليه في سلسلة مقالاته النقدية، وسعا إلى نشره وتطبيقه عمليا ولكن القدر لم يمهله لذلك.

خاتمة

مثل شعر رمضان حمود صورة حية للتجديد الذي كان حالة استثنائية في مرحلة امتازت بالمحافظة والتقيد وكان شعره يوحي بالتحرر وعدم الركون إلى التسليم بالأمر الواقع.

ويمكننا أن نحمل نتائج البحث فيما يلي:

1-كانت بداية الشعر الوجداني مع رمضان حمود متأثرا بإخوانه في المشرق من بينهم جماعة الديوان.

2-يشكل شعره دعوة ضمنية للتحرر والنضال من أجل تحرير الوطن.

3-امتازت لغة حمود بأسلوب بسيط وألفاظ سهلة وواضحة.

4-اقتبس رمضان حمود ألفاظه من القرآن الكريم وتميزت أشعاره بالنزعة الخطابية.

5-لم يكثر رمضان حمود من الصور الشعرية لا لضعف الموهبة والابتكار والتجديد بل نظرا لطبيعة الموضوعات التي تناولها مثل القضايا الاجتماعية والسياسية.

6-استطاع رمضان حمود أن يحدث تغييرا وتجديدا في الموسيقى الشعرية حيث جمع في أشعاره وأكثر من قافية وكان ينزع إلى التنويع بين القصيدة العمودية والقصيدة الحرة وهو اتجاه دعا لتكريسه في بعض مقالاته النقدية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

قائمة المصادر:

1. محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1985.
2. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925 . 1975، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985.
3. محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، تونس، ط1، 1344 هـ . 1926.
4. الكاملي بن عبد الله بن محمد، أبو اسحاق إبراهيم أطفيش، مطبعة الشهاب، قسنطينة، الجزائر، 1966.
5. محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ج1، ط2، 2007.
6. صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
7. الجاحظ (أبي عمرو بن بحر بن محبوب) الحيوان، ج2، ط1، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1938.

قائمة المراجع:

1. عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن 20، دار هومه للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

2. محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، ط1، 2007.
3. أحمد شرفي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010.
4. يوسف ناوري، الشعر الحديث في المغرب العربي، ج1، دار توبقال للنشر، ط1، 2006.
5. محمد الصالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع،ط1، 1426 هـ . 2005.
6. عبد الله حمادي، أصوات من الأدب الجزائري الحديث، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2000.

قائمة المجلات:

- الشهاب: س2 (82،61)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2010.

الفهرس

الفهرس

بسملة: ..... –

دعاء: ..... –

شكر وعرفان: ..... –

إهداء: ..... –

إهداء: ..... –

مقدمة: ..... أ – ب

الفصل الأول: رمضان حمود السيرة والنشأة:

المبحث الأول: حياته وثقافته: 2

المبحث الثاني: آثاره الشعرية والأدبية: 12

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في رمضان حمود: 15

أ. العوامل السياسية:..... 15

ب. العوامل الاجتماعية: 17

ج.العوامل الثقافية: 18

الفصل الثاني: شعر رمضان حمود دراسة موضوعية:

المبحث الأول : النزوع الرومانسي لدى " رمضان حمود" 22

المبحث الثاني: وصف الواقع المرير للشعب الجزائري: 27

المبحث الثالث: الوقوف أمام الظلم والعدوان:..... 30

الفصل الثالث: شعر رمضان حمود دراسة فنية:

المبحث الأول: اللغة الشعرية:..... 33

المبحث الثاني: الصورة الشعرية: 38

المبحث الثالث: الموسيقى الشعرية:..... 43

خاتمة: 50

قائمة المصادر والمراجع: 52

الفهرس:..... 55